

ماذا فعل يسوع؟

المحاضرة ٣: الصبي يسوع في الهيكل

أ.ر. سي. سرول

اليوم، بينما نتابع دراستنا لخدمة المسيح، كُنَّا نتأمل في وقائع أو لحظات مُتَلَفَةٍ في حياته الأرضية بالغة الأهمية لفهم العمل الذي تم إرساله لتتبعه. اليوم سننظرُ إلى مقطعٍ قلما يلقى اهتمامًا، لكنني أعتبرُهُ مهمًا لفهم خدمة يسوع. وهذا المقطع عبارة عن سردٍ لزيارته للهيكل في أورشليم حين كان في الثانية عشرة من العمر. هذا واحد من المقاطع النادرة في العهد الجديد التي تأتي على ذكر أي أمر جرى خلال ما يُعرف بالسنوات الضائعة في حياة يسوع، ما بين ولادته وبداية خدمته العلنية، التي بدأت في سن الثلاثين تقريبًا.

إذًا، نحن نتساءل عما كان يفعله طوال تلك السنوات؟ كيف كانت حياته خلال نشأته في الناصرة، حين كان يعمل على الأرجح في محل التجارة التابع لأبيه يوسف؟ الأمر الوحيد الذي نعرفه بين تكريسه في الهيكل وخدمته الأرضية، هو تلك الزيارة إلى الهيكل - ما عدا الفترة الفاصلة الصغيرة المتعلقة بهروب العائلة إلى مصر بعد أن تم نضح يوسف في الحلم بعدم العودة إلى الديار وبالاختفاء من هيرودس عبر الهرب إلى مصر. ولم يحدث إلا بعد موت هيرودس أن قال له الملاك إن الرجوع إلى الناصرة بات آمنًا.

تلك السنوات الضائعة تُشكل موضوع الأناجيل الأبوكريفائية الخيالية بشكلٍ خلاقٍ ووهيبي، التي كتبتها المهزطون المعرفيون في القرنين الثاني والثالث في محاولةٍ لإظهار أن سلطانهم يعادل سلطان الرسل. كانوا يستعملون أسماء الرسل بشكلٍ أساسيٍ لتزوير وثائقهم، مثل إنجيل بطرس وإنجيل ثوما وغيرهما. بالطبع، لقيت هذه الكتب رفضًا واضحًا من الكنيسة الأولى، كونها غير صادرة عن أصل رسوليٍّ أو لا تتمتع بسلطانٍ كنسيٍّ.

ظهرت موجة من الاهتمام بها الآن بما أن الكتاب الأكثر مبيعًا لدان براون حول شيفرة دافنشي. جزء كبير من أفكاره مأخوذ من الكتب الأبوكريفائية. إنها تُخبر قصة خيالية عن يسوع كصبي صغير، مثلًا وهو يستخدم قوته الفائقة للطبيعة بطريقةٍ مبتدلة. حين كان يلعب وحده وكان وحيدًا صنع شكل طيرٍ من التراب، ثم مارس سحره فأصبح الطير كائنًا حيًا، فاستطاع أن يلعب مع الطير. أو إن سبب له رفاقه في اللعب المتاعب، كان يُنزل دِينُونَةً عليهم من السماء. هذا النوع من الأمور مُلقَقٌ بكل وضوح وتافه لدرجة أنه لا يستحق أن يتم إدراجه في السجلات التاريخية لحياة يسوع.

أساسًا ما قيل لنا هو أن يسوع كصبي كان ينمو في المعرفة والحكمة والقامة. ونرى لمحةً وجيزةً عن ذلك النمو في سرد إنجيل لوقا لزيارة يسوع للهيكل. وهذا ما سأقرأه على مسامعكم الآن. في الأصحاح الثاني من إنجيل لوقا ابتداءً من الآية ٤١، نقرأ ما يلي "وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح. ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد. وبعدما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما. واذ ظنّاه بين الرفقة، ذهبًا مسيرة يوم، وكانا يطلبانه بين الأقباء والمعارف. ولما لم يجدها رجعا إلى أورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل، جالسًا في وسط المعلمين، يسمعونهم ويسألهم. وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته. فلما أبصره اندهشا. وقالت له أمه: "يا بني لماذا فعلت بنا هكذا؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معدّين!" فقال لهما: "لماذا كُنتمَا تطلباني؟ ألم تعلمَا أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟" فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما".

أحد الأمور المذهلة في هذا النص، هو أن هذه الحادثة تؤكد وتشدّد على ردّ فعل اللاهوتيين في أيام يسوع إزاء ابن الاثني عشر عامًا الذي ظهر في الهيكل كطفلٍ معجزةٍ مدهلٍ، كونه حصل معرفةً وافرةً بالكتاب المقدس واللاهوت، لدرجة أنه حيرهم بأجوبته على الأسئلة التي سمعها وبالأئلة التي طرحها عليهم. أول أمرٍ أريد التطرّق إليه هنا في ما يتعلّق بهذه المسألة يتمحور حول معرفة يسوع التي كانت مختلفة جدًا عن معرفة الجميع في البلاد. لماذا؟

حين ندرس عقيدة الخطيئة، حين ندرس تعليم الكتاب المقدس لسقوط الجنس البشري، نلاحظ أنه في ذلك السقوط آثار الخطيئة تتغلغل في الإنسان كله. فهي لا تعرّض الجسد فحسب لأمرضٍ جسدية، وأسقام، ولموت، ولأمراضٍ أخرى، حيث إن الجسد يضعف بشدة بفعل حالة السقوط. لكن كان للسقوط وقع كبير أيضًا على أذهان البشر. ونسمي هذا الوقع في اللاهوت الآثار الذهنية للخطيئة – الآثار الذهنية للخطيئة. هذا مفهوم لا يتمّ إعلانه يوميًا في حياة الكنيسة. لكن المفهوم يأتي من الكلمة اليونانية "نوس"، وهي الكلمة اليونانية التي تعني "ذهن". إذا، كلمة "ذهني" تعني المتعلّق بالـ "نوس" أو "المتعلّق بالذهن البشري".

يعلّمنا بولس في الأصحاح الأول من رسالة رومية أن نتيجة الخطيئة ورفض إعلان الله الذي يُعطيه لنا جميعًا من خلال الطبيعة، هو أن أذهاننا أظلمت. الخطيئة تُعمّمُ الذهن. إنَّها تُضعفُ قدرتنا على التفكير بوضوح. بعد السقوط ما زلنا نتمتع بالقدرة على التفكير، ما زلنا -حتى في حالة إيماننا- أن نضيف اثنين إلى اثنين وأن نتوصّل إلى الاستنتاج أنها تساوي أربعة. أو ما زلنا نقدر أن نحلّل القياس المنطقي ومشاكل فلسفيةٍ أخرى. لكن في الوقت نفسه كل واحدٍ منا معرضٌ لارتكاب الأخطاء في تفكيره. وأحيانًا تكون الأخطاء فادحةً ومكلفةً جدًا.

اعْتَدْنَا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمَأْثُورِ فِي ثِقَافَتِنَا "البَشَرُ خَطَاوُونَ". وَهَذَا تَذْكَيرٌ مُسْتَمِرٌّ بِطَبِيعَتِنَا الْبَشَرِيَّةِ السَّاقِطَةِ. لَطَالَمَا تَسَاءَلْتُ مَا الَّذِي يَجْعَلُ النَّاسَ حِينَ يَحْضُرُونَ عَلَى الْمَعْلُومَاتِ نَفْسَهُمَا يَتَوَصَّلُونَ إِلَى اسْتِنْتِجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ تَمَامًا. هَلْ لَاحِظْتُمْ أَنَّهُ أَحْيَانًا حَتَّى عِنْدَمَا نَلْتَقِي مُؤْمِنِينَ آخَرِينَ نَحْدُ أَنْنَا نَخْتَلِفُ كَثِيرًا فِي الرَّأْيِ فِي مَا بَيْنَنَا. لِمَاذَا؟ هَلِ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ مُرَبِّكَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟ أَوْ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْوُضُوحِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟ لِدَرَجَةٍ أَنَّ النَّاسَ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى اسْتِنْتِجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ حَوْلَ مَا يَعْلَمُهُ، وَيُمْكِنُ التَّمَسُّكُ بِتِلْكَ الاسْتِنْتِجَاتِ بِتَشَبُّثٍ كَبِيرٍ وَإِحْدَاثِ شَتَّى أَنْوَاعِ الانْقِسَامَاتِ وَالاضْطِرَابَاتِ ضَمْنِ حَيَاةِ الْكَنِيسَةِ، ضَمْنِ حَيَاةِ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ، وَتَدْمِيرِ الْعَلَاقَاتِ الْبَشَرِيَّةِ.

لَدَيْنَا جَمِيعًا الْمَوَادُّ نَفْسُهَا. يُمَكِّنُ الْقَوْلُ إِنَّ الْبَعْضَ يُثَابِرُ فِي الدَّرْسِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ وَبِالتَّالِي لَدَيْهِ اِحْتِمَالٌ أَكْبَرُ بِأَنْ يَفْهَمَ بِشَكْلِ أَفْضَلِ الْمَوَادِّ الَّتِي يَدْرُسُهَا. لَكِنَّا نَفْشَلُ جَمِيعًا فِي أَنْ نُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَنَا مِنْ كُلِّ عَقُولِنَا. إِذَا، نَمُرُّ جَمِيعًا فِي مَرَاجِلَ مِنَ التَّرَاخِي وَالْفَشَلِ فِي تَكْرِيسِ أَنْفُسِنَا ذِهْنِيًّا لِفَهْمِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ. فَبِحَالَتِنَا الْآثِمَةِ، نَحْنُ نَنْتَرِقُ إِلَى النَّصِّ بِتَحْيِزَاتٍ مُعَيَّنَةٍ. وَالْإِنْسَانُ الْمُتَحَيِّزُ مُعَرَّضٌ عَالِبًا لِلتَّرْكِيزِ عَلَى التَّفَاصِيلِ وَنَسْيَانِ الصُّورَةِ الْعَامَّةِ، لِأَنَّ ذِهْنَهُ مُقَيَّدٌ بِذَلِكَ الْإِنْجِازِ.

إِنْ نَشَأَتْ عَلَى تَقَالِيدِ مُعَيَّنَةٍ، وَقَصَدَتْ كَنِيسَةً مُعَيَّنَةً، وَتَعَلَّمَتْ عَقِيدَةَ تِلْكَ الْكَنِيسَةِ بِالذَّاتِ، وَرَبَّمَا تَلَقَّيْتَ تَعْلِيمًا عَقَائِدِيًّا مَغْلُوطًا، لَكِنَّكَ تَسَلَّمْتَهُ مِنْ أَنَاسٍ ثِقُوقٌ بِهِمْ، رَبَّمَا مِنْ وَالِدَيْكَ، رَبَّمَا مِنْ رَاعِيكَ. وَتَعَلَّمْتَ أَنْ تُفَكِّرَ بِهِذِهِ الطَّرِيقَةِ. نَتَكَلَّمُ عَنْ إِنْشَاءِ رَوَابِطٍ مُحَبَّةٍ، حَيْثُ يَكُونُ لَدَيْ التِّرَامِ سَابِقٌ بِالطَّائِفَةِ الَّتِي نَشَأَتْ فِيهَا، أَوْ بَارَاءِ وَالِدَيْ أَوْ أَسَاتِدَتِي. وَمِنْ الصَّعْبِ جِدًّا قَطْعُ رَوَابِطِ الْمَحَبَّةِ تِلْكَ وَالْإِنْفِتَاحُ عَلَى تَصْحِيحِ نَاتِجٍ عَنْ فَهْمٍ أَفْضَلٍ لِمَا يَعْلَمُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ. لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّ عَمَلَ التَّفَكُّرِ بِحَدِّ ذَاتِهِ قَدْ ضَعُفَ بِفِعْلِ الْخَطِيئَةِ.

كُنْتُ أَعْلَمُ مَادَّةَ التَّحْلِيلِ الْمُنْطِقِيِّ، وَكُنْتُ أُعْطِي فُرُوضًا لِلطَّلَابِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمُوا مُخْتَلِفَ أَنْوَاعِ الْمُعَالِطَاتِ الْمُنْطِقِيَّةِ الَّتِي نَسَعَى إِلَى تَجْنِيهِهَا، وَكُنْتُ أَقُولُ "أُرِيدُ أَنْ تَأْتُوا عَدَا بَمَثَلٍ عَنِ ارْتِكَابِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمُعَالِطَاتِ الَّتِي دَرَسْنَاهَا لِلتَّو". رَبَّمَا دَرَسْنَا عَشْرِينَ مُعَالِطَةً. وَكُنْتُ أَقُولُ "أُرِيدُ أَنْ تَأْتُوا بِأَمْثَالٍ عَنْ هَذِهِ مِنْ جَرِيدَةِ الْعَدِّ". وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ إِجَادَ مَثَلٍ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمُعَالِطَاتِ فِي آخِرِ نَشْرَةِ أَخْبَارٍ فِي الْوَاقِعِ، فِي كِتَابِنَا الْمُدْرَسِيِّ، عِنْدَمَا نَبْحَثُ عَنْ أَمْثَلَةٍ عَنْ تِلْكَ الْمُعَالِطَاتِ لَا نَسْتَخْرِجُهَا مِنَ الصَّحَافَةِ الشَّعْبِيَّةِ، بَلْ نَسْتَخْرِجُهَا مِنْ أَعْظَمِ عُقُولٍ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ. كُنَّا نَرَى خَطَأً مَنْطِقِيًّا وَاضِحًا فِي تَصْرِيحِ لَافْلَاطُونَ أَوْ دِيكَارْتِ أَوْ لِإِيْمَانُوبِلِ كَانَتْ أَوْ دَايفِيدِ هِيومِ أَوْ جُونِ سْتِيوَارْتِ مِيلِ، لِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ، حَتَّى الْفَانِقِيِّ الذِّكَاةِ بَيْنَهُمْ، مُعَرَّضُونَ لَارْتِكَابِ أخطاءٍ مَنْطِقِيَّةِ. أَيْمَكِنُكُمْ تَحْيِيلُ إِنْسَانٍ يُفَكِّرُ بِمَعْرِزِلٍ عَنِ الْآثَارِ الذَّهْنِيَّةِ لِلْخَطِيئَةِ؟ حَتَّى الْآنَ لَمْ يَعْرِفِ الْعَالَمُ أَيَّ إِنْسَانٍ بِلَا خَطِيئَةٍ.

إِذَا، يَسُوعُ، وَكَوْنُهُ بِلاَ خَطِيئَةٍ وَلَمْ يَزْتَكِبِ الخَطِيئَةَ الأَصْلِيَّةَ، لَمْ يَضْعُفْ بِسَبَبِ هَذِهِ المَشَاكِلِ نَفْسَهَا الَّتِي كُنْتُ أَتَكَلَّمُ عَنْهَا، وَبِالتَّالِي كَانَ تَفْكِيرُهُ صَافِيًا جِدًّا. لَمْ يَكُنْ لِفِطْنَتِهِ نَظِيرٌ. وَلَمَّا صَارَ صَبِيًّا فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ العُمُرِ كَانَ بِإِمْكَانِهِ التَّفْكِيرُ بِشَكْلِ أَكْثَرِ عُمُقًا وَثَبَاتًا وَفِطْنَةً مِمَّا يَفْعَلُ لاهُوتِيو عَصْرِهِ الأَكْثَرُ تَعَلُّمًا. هُوَ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى هُنَاكَ لِيَتَّبَاهِيَ بِنَفْسِهِ، بَلْ ذَهَبَ إِلَى هُنَاكَ لِيَتَعَلَّمَ، لِأَنَّ هَذَا مَا كَانَ يَفْعَلُهُ طَوَالَ السَّنَوَاتِ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ الأُولَى مِنْ حَيَاتِهِ.

الآن تُدْرِكُونَ المَسْأَلَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي يُثِيرُهَا هَذَا الأَمْرُ، أَلَا وَهِيَ العَلَاقَةُ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ وَطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ. يَقُولُ البَعْضُ: "بِالطَّبَعِ كَانَ يَسُوعُ يَعْرِفُ الأَجُوبَةَ عَلَى جَمِيعِ تِلْكَ الأَسْئَلَةِ. أَلَمْ يَكُنْ هُوَ اللهُ؟ وَأَلَيْسَ اللهُ كُلِّي العِلْمُ؟" نَعَمْ، هُوَ كَانَ اللهُ المُتَجَسِّدَ، نَعَمْ، اللهُ كُلِّي العِلْمِ. لَكِنْ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِطَّبِيعَتِهِ البَشَرِيَّةِ، لَمْ يُعْطِ يَسُوعُ عَقْلًا إِلَهِيًّا، لَمْ يُعْطِ بِطَّبِيعَتِهِ البَشَرِيَّةِ صِفَةَ إِلَهِيَّةَ، صِفَةَ المَعْرِفَةِ عَيْرِ المَحْدُودَةِ. كَانَ بِإِمْكَانِ الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ نَقْلَ المَعْلُومَاتِ لِيَسُوعَ الإِنْسَانِ، وَكُنَّا نَرَى مِنْ حِينِ لِأَخْرَى يَسُوعُ يُدْهِشُ النَّاسَ بِالمَعْرِفَةِ الفَائِقَةِ لِلطَّبِيعَةِ المُتَّاحَةِ لَهُ، لَكِنَّ الطَّبِيعَةَ البَشَرِيَّةَ لَمْ تَنْقُلِ الصِّفَةَ الإِلَهِيَّةَ. عُدْرًا، الطَّبِيعَةُ الإِلَهِيَّةُ لَمْ تَنْقُلِ الصِّفَةَ الإِلَهِيَّةَ - صِفَةَ المَعْرِفَةِ عَيْرِ المَحْدُودَةِ - إِلَى الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ كَمَا حَاوَلَ البَعْضُ أَنْ يُثَبِّتَ طَوَالَ تَارِيخِ الكَنِيسَةِ، وَإِلَّا لَشَكَلَ الأَمْرُ انْتِهَاكَ لِطَّبِيعَتِهِ البَشَرِيَّةِ الحَقِيقِيَّةِ.

إِذَا، بِأَيِّ حَالٍ، نَحْدُ يَسُوعَ قَادِمًا إِلَى الهَيْكَلِ. وَكَانَتْ قَدْ جَرَتْ العَادَةُ أَنَّهُ قَبْلَ سَنَةٍ مِنْ أَنْ يُصْبِحَ الصَّبِيُّ ابْنُ الوَصِيَّةِ، تُحْضِرُهُ عَائِلَتُهُ إِلَى الهَيْكَلِ لِكَيْ يَعْتَادَ عَلَى الإِجْرَاءَاتِ الَّتِي يَتِمُّ اتِّبَاعُهَا فِي أُورُشَلِيمَ فِي السَّنَةِ الثَّالِيَةِ. وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ مِنْ بَعِيدٍ، كَانُوا يَأْتُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِلاَحْتِفَالِ بِعِيدِ الفِصْحِ. هُنَا، كَانَتْ عَائِلَةُ يَسُوعَ قَادِمَةً مِنَ النَّاصِرَةِ، وَلَمْ يَأْتُوا مَعَ العَائِلَةِ الصَّغِيرَةِ فَحَسْبُ، بَلْ مَعَ أبنَاءِ العَمِّ وَالعمَّاتِ والأَعْمَامِ وَبَعْضِ المَعَارِفِ مِنَ النَّاصِرَةِ، وَكَانُوا يُسَافِرُونَ مَعًا فِي قَوَافِلٍ. وَكَانَ مِنَ المُعْتَادِ أَنْ يَتَجَمَّعَ النَّاسُ مِنْ مُدُنٍ وَوُقُرَى مُخْتَلِفَةٍ لِلقِيَامِ بِهَذِهِ الرَّحْلَةِ. إِذَا، كَانُوا يَقُومُونَ بِالرَّحْلَةِ، كَانُوا يَزُورُونَ المَكَانَ وَيَرْحَلُونَ.

وَبَعْدَ مُرُورِ يَوْمِ كَامِلٍ عَلَى الرَّحِيلِ، قَالَتْ مَرِيَمُ لِيُوسُفَ "أَيْنَ يَسُوعُ؟" فَقَالَ يُوسُفُ لِمَرِيَمَ "لَسْتُ أَدْرِي، ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَنْتِ تُرَاقِبِينَهُ. لا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ مَعَ سَائِرِ أَفْرَادِ العَائِلَةِ فِي القَافِلَةِ". فَبَحْثُوا عَنْهُ لَدَى أَصْدِقَائِهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ، وَصَدِمُوا لَمَّا لَمْ يَجِدُوا يَسُوعَ فِي أَيِّ مَكَانٍ. وَالأَن كَانَ قَدْ مَرَّ أَكْثَرُ مِنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ عَلَى فُقْدَانِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِمُ السَّفَرُ مَرَّةً أُخْرَى لِمُدَّةِ يَوْمٍ كَامِلٍ لِلرُّجُوعِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَاقْتِفَاءِ أَثَرِ خَطْوَاتِهِمْ لِيَرَوْا إِنْ كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِمْ إِيجَادَهُ. أَنذَاكَ يُمَكِّنُكُمُ تَحْيِيلُ القَلْقِ الَّذِي سَيَطْرُقُ عَلَى مَرِيَمَ وَيُوسُفَ وَهُمَا يَبْحَثَانِ عَنِ ابْنَيْهِمَا الاِسْتِثْنَائِيِّ وَعَنْ مَكَانِ تَوَاجُدِهِ.

إِذَا، يَتَبَيَّنُ لَنَا فِي السَّرْدِ أَنَّهُمَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الهَيْكَلِ وَسَطَ المُعَلِّمِينَ. وَنَفَرًا مَا بِي "وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهْتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجُوبَتِهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: "يَا بَنِي، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟" هَذَا مَثَلٌ يُمَكِّنُ اسْتِخْدَامَهُ لِلْمُجَادَلَةِ ضِدَّ حُلُوقِ يَسُوعَ مِنَ الخَطِيئَةِ، فَهِيَ هُوَ يُزْعِجُ مَرِيَمَ الآنَ وَهِيَ تَسْأَلُهُ: "لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟" إِنَّهَا تَعْتَبِرُ الأَمْرَ

إِسَاءَةً لَهَا وَلِزَوْجِهَا وَلِلْعَائِلَةِ كُلِّهَا. فَقَالَ يَسُوعُ "لِمَاذَا كُنْتُمْ تَطْلُبَانِي؟" هُمَا قَالَا: "لِمَاذَا فَعَلْتَ هَكَذَا؟" فَقَالَ يَسُوعُ: "مَا حَطْبُكُمْ؟ لِمَاذَا تَطْلُبَانِي؟ كَانَ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَا أَيْنَ أَنَا. كَانَ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَا مَا أَنَا فَاعِلُهُ. "أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَيِّ؟ فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا".

إِذَا، تُوجَدُ مُشْكِلَةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ هُنَا. لَمْ يَعْلَمْ مَرْيَمَ وَيُوسُفَ أَيْنَ هُوَ أَوْ سَبَبُ فِعْلِهِ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ، وَهُوَ كَانَ يَعْرِفُ جَيِّدًا مَا يَفْعَلُهُ، وَكَانَ يَفْهَمُ جَيِّدًا سَبَبَ قِيَامِهِ بِهِ. إِذَا، يَبْدُو هُنَا أَنَّ يَسُوعَ قَامَ بِكُلِّ لُطْفٍ وَتَهْذِيبٍ وَأَدَبٍ بِانْتِهَارِ أُمِّهِ لِأَنَّهَا لَمْ تَعْرِفْ—عَلَى ضَوْءِ الْإِعْلَانِ الَّذِي تَسَلَّمْتُهُ وَلَا سِيَّمَا فِي وَقْتِ الْبِشَارَةِ—مَا كَانَ يَجْدُرُ بِهَا أَنْ تَعْرِفَهُ. لَقَدْ كَانَتْ تَتَأَمَّلُ وَتُفَكِّرُ مِلِّيًّا فِي هَذِهِ الْأُمُورِ طَوَالَ تِلْكَ السَّنَوَاتِ مُتَسَائِلَةً "مَا هُوَ مُحْتَظُّ اللَّهِ لَوْلَايَ؟ مَا مَعْنَى الْوِلَادَةِ مِنْ عَذْرَاءِ الَّتِي اخْتَبَرْتُهَا وَالرَّسَالَةَ الَّتِي تَسَلَّمْتُهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ جِبْرَائِيلَ وَمِنَ النَّبِيِّ حَنَّةَ لِاحِقًا وَأَيْضًا مِنْ سَمْعَانَ فِي الْهَيْكَلِ؟ مَنْ هُوَ هَذَا الصَّبِيِّ؟ مَاذَا سَيُصْبِحُ؟ مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ؟ وَهُوَ يَقُولُ "أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَيِّ؟"

يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَتَخَيَّلُوا مَرْيَمَ تَقُولُ: "نَعَمْ، مَا لِأَيِّكَ هُوَ حِرْفَةُ التَّجَارَةِ فِي النَّاصِرَةِ، وَهُنَاكَ يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَكُونَ تُسَاعِدُ أَبَاكَ". لَكِنَّ يَسُوعَ يَتَكَلَّمُ عَنْ أَبِيهِ السَّمَاوِيِّ، مَا يُعْطِينَا أَيْضًا فِكْرَةً عَنْ خِدْمَتِهِ. هُنَا فِي سِنِّ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ، وَفِي وَجْهِهِ الْمُتَنَائِي، وَفِي إِدْرَاكِهِ الْمُتَنَائِي لِمَهْمَّتِهِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، عَلَى الْأَقْلَ هُوَ يَعْرِفُ هَذَا الْقَدْرَ، وَهُوَ أَنَّ لَدَيْهِ عَمَلًا يَتِمُّهُ لِأَجْلِ أَبِيهِ، وَهَذَا الْعَمَلُ يَتَعَلَّقُ نَوْعًا مَا بِالْهَيْكَلِ وَبِالْأُمُورِ الَّتِي تَبْنِي مَنَاقِشَتَهَا هُنَاكَ فِي الْهَيْكَلِ. كَوْنُهُ ابْنُ اللَّهِ الْمُتَجَسِّدِ، نُدْرِكُ أَيْضًا وَجُودَ نَوْجٍ مِنَ الْخُضُوعِ بَيْنَ الْابْنِ وَالْآبِ فِي الثَّالُوثِ. نَتَكَلَّمُ عَنِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْأَدْوَارِ ضِمْنَ الثَّالُوثِ، أَيِ الْاِخْتِلَافِ الْمُتَعَلِّقِ بِعَمَلِ اللَّهِ. الْآبُ هُوَ مَنْ يُرْسِلُ الْابْنَ، وَالْابْنُ، كَمَا ذَكَرْتُ سَابِقًا، هُوَ مَنْ يَأْتِي وَيُتِمُّ عَمَلِ الْفِدَاءِ، ثُمَّ يَتِمُّ إِرْسَالَ الرُّوحِ لِتَطْبِيقِ عَمَلِ الْفِدَاءِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ.

إِذَا، هُنَا الْابْنُ الْأَرْضِيُّ مَعَ الْأَقْنُومِ الثَّانِي مِنَ الثَّالُوثِ مُدْرِكٌ لِمَسْئُولِيَّةِ الْخُضُوعِ الْمُتَبَادِلِ هَذِهِ. وَكَانَ يَسُوعُ مُلْزَمًا بِفِعْلِ مَا أَرْسَلَهُ الْآبُ لِفِعْلِهِ. وَلاَحِقًا قَبِيلَ عَنهُ إِنَّ أَكَلَهُ وَشَرِبَهُ هُوَ أَنْ يَفْعَلَ مَشِيئَةَ الْآبِ. وَأَظُنُّ أَنَّ مَرْيَمَ وَيُوسُفَ لَمْ يَسْتَعْرِفَا وَقْتًا طَوِيلًا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمَا لَمْ يَفْهَمَا الْأَمْرَ بِرُمَّتِهِ، لَقَدْ فَهَمَا حَتْمًا أَنَّ لَدَى يَسُوعَ مِهْمَةً أَمَامَ اللَّهِ كَانَ قَدْ تَمَّ إِظْلَاعُهَا عَلَيْهِمَا. أَكْرَرُ، هُمَا لَمْ يَعْرِفَا التَّفَاصِيلَ، لَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّهُمَا تَكَلَّمَا مُطَوَّلًا فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ إِلَى النَّاصِرَةِ عَنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ.

لَكِنَّ يَسْرُنِي إِدْرَاجُ لُوقَا لِلْأَمْرِ. وَلُوقَا هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي يُخْبِرُنَا عَنِ الْأَمْرِ. وَحِينَ يَكْتُبُ لُوقَا إِنجِيلَهُ، فِي بَدَايَةِ الْإِنْجِيلِ، يُخْبِرُنَا أَنَّهُ تَعَهَّدَ بِسُرْدِ وَاقِعِ الْأُمُورِ. وَالذَّلَالَةُ التَّارِيخِيَّةُ هِيَ أَنَّهُ أَجْرَى مُقَابَلَةً مَعَ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ يَصِلُنَا الْمَزِيدُ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ عَنْ وِلَادَتِهِ وَطُفُولَتِهِ وَحَيَاتِهِ الْأَرْضِيَّةِ مِنْ لُوقَا مِمَّا مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ. إِذَا، أَنَا وَاثِقٌ مِنْ أَنَّهُ بِفَضْلِ دَعْمِ

الرُّوحُ الْقُدُسُ وَقُوَّتِهِ، إِلَى جَانِبِ شَهَادَةِ مَرْيَمَ، نَحْصُلُ عَلَى هَذَا السَّرِّ الَّذِي يُعِدُّنَا لِقَهْمِ وَعِيِ يَسُوعَ الدَّائِيِّ الْمُتَنَامِي وَتَرْكِيزَهُ عَلَى الْمُهْمَةِ الَّتِي أَوْكَلَهُ بِهَا أَبُوهُ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَنُورِلْ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيَرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقُدَيْسِ أَنْدُرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلُّنَا لَاهُوتِيُونَ" (Everyone's A Theologian).